



## بين التنظير و الممارسة

.. :

:

لا أحد من السيكلوجيين اليوم يشك في كون المجال الذي تتم فيه تصرفات الأفراد، ليس مجرد مكون فيزيقي خام ومحايّد لا دخل له في عمليات التفاعل النفسي والاجتماعي، لذا فإن تصور العملية التربوية بشكل مجرد من كل دخل للمجال المدرسي ليس من العلمية في شيء، خاصة وقد بينت الدراسات النفسية أن المجال متغير يطبع بنية التفاعل بين الناس ولدى الفرد نفسه، وأن خاصيات الإنسان ككائن اجتماعي موسومة بالوظيفة أو القيمة التي تسحب على المجال الذي تنتج فيه<sup>1</sup>.

إن المجال المدرسي المكون من بناية المدرسة والحجرات وتجهيزاتها من: وسائل تعليمية ومعينات بصرية أو سمعية ومحيط المدرسة، وساحاتها وحدائقها، كل ذلك يتجاوز بعده الفيزيقي ليتحول إلى مجال نفسي واجتماعي له دلالات يساهم فيها الأفراد المتعلمون، وتساهم هي بدورها من حيث كونها مدرّكة ومتمثلة في بناء أو توجيه القدرات النفسية للأفراد المتمدرسين سلّبا أو إيجابا من حيث كونها بيئة نفسية واجتماعية أكثر من كونها بيئة فزيقية خاما.

إن هذه الفرضية التي نقدمها هنا لم تعد في كثير من المراكز البحثية- خاصة في أوروبا- مجرد فرضية، بل أصبحت تراثا نظريا واختباريا، تجاوز مستويات البحث الأساسي إلى البحث التطبيقي والتدخل، بل أصبحت المنظومات التربوية والتعليمية، تأخذها بعين الاعتبار في هندسة المباني المدرسية، وتهيئة فضاءات التعلم وإعداد الوسائل التعليمية ودراسة مدى ملاءمتها ومردوديتها.

غير أن البحوث في المجال الثقافي العربي -على الأقل فيما اطلعت عليه لازالت لا تنظر إلى هذا المجال كعنصر تكميلي أو لنقلها صراحة "كمالي" إذ لازالت المدرسة هي فقط تلك البناية الصالحة صحيا وهندسيا لتلقي الدروس.

<sup>1</sup> - G,N,Ficher : la psychologie de l'espace , presses universitaires de France , Paris , 1981 , 2ed , page : 3

فما هي إذن، المعطيات العلمية التي وفرتها الأبحاث حول المجال سواء في نطاق علم النفس أو علم الاجتماع أو علوم التربية بصفة عامة والتي سمحت بتجديد مفهوم المجال المدرسي وساعدت على تأسيس علم نفس المجال؟ وهل ثمة أدوارٌ يلعبها المجال المدرسي في عملية التدريس؟ وكيف يتفاعل المتعلم مع هذا المجال المدرسي؟

### 1. الدراسة العلمية لمفهوم المجال:

شكلت أعمال ليفين المنطلق الأول لدراسة موضوع المجال وكان الموضوع الأول لدراسة علم النفس للمجال امتدادا لأعمال لفين خاصة ما اصطلح عليه بمفهوم المجال الشخصي أي تلك المنطقة الافتراضية المتصورة المحيطة بالجسم مباشرة والتي يختلف سمكها من فرد لآخر حسب الثقافات وهي التي سماها أ.مولز A.Moles بالقوقعة .

ويتأسس مفهوم المجال الشخصي من فكرة أن الجسم لا يحد فقط بمساحة الجلد، بل هو محاط بمجال متاخم للجسم، بسمك ما، يرسم حوله نطاقا يكون مجالا للحركة الفردية، إنه مقتطع من المجال العام لا يمكن السماح باقتحامه من قبل الغير، وإلا فإن الفرد يبدي ردود فعل دفاعية، ويسمح بدخول هذا المجال في حالات استثنائية لأشخاص معينين وفي حالات سيكولوجية محددة<sup>2</sup>.

تكمن قيمة هذه الأعمال الأولى للبحث في المجال في كونها ساعدت على تحصيل تراكم نظري للدراسات، عمل بدوره على إرساء فرع جديد من علم النفس هو علم نفس المجال وعلم النفس الاجتماعي للمجال، وموضوع هذا العلم هو دراسة العلاقات التي تنشأ بين الإنسان والمجال، علم يسعى إلى مقارنة الواقع النفسي والاجتماعي من خلال رصد كيفية تفاعل الأفراد مع المجال الذي يعيشون فيه، كما يسعى إلى محاولة التعرف على الإنسان وظواهره النفسية، والاجتماعية في وجوده المشخص المنغرس في وسط معطى، محاولا تجاوز تلك الوضعية الغير واقعية التي تفصل الإنسان خلال دراسة عن المجال الذي يحيى فيه.

لقد اعتبر أ.مولز A.Moles بأن دراسة المجال خلال دراسة تصرفات الأفراد على درجة كبيرة من الأهمية بالنظر إلى الدور الذي يلعبه المجال في تحديد تصرفات الأفراد، ففي كل وضعية مجالية يهتم الفرد بما يعتبره مجالا شخصيا خاصا به، كما يأخذ بعين الاعتبار ما يدرك انه مجال عام غير خاضع لملكيته، لذا من غير الممكن تصور

<sup>2</sup>- A,A,Moles et E,Rohmer : psychologie de l'espace , Casterman , 1972 , page : 43

فهم مكتمل لتصرفات الأفراد مع تجاهل المجال، فهو حامل متدخل في الوجود الإنساني الفردي والجماعي، فلو عرفنا حرية الفرد بأنها ذلك الوعي بالأكراهات يترتب عن هذا حسب مولز بأن مجال الحرية هو مجموع الأنشطة التي يستطيع الفرد أن يمارسها دون أن يصطدم بإكراهات، والتي ليست شيئا آخر غير قوى الوسط الخارجي وعلى رأسها المجال<sup>3</sup>.

لذلك نرى مع مولز بأن دراسة أية ظاهرة نفسية في إطار علاقتها بالمجال أمر مفيد للبحث العلمي في علم النفس، وخصوصا إن كان هذا المجال موضع نشاط يفترض أن تكون له مردودية معرفية وسيكولوجية كالمدرسة، فالمدرسة مجال للتفاعل الذهني والوجداني بامتياز، ومن غير الممكن تصور حدوث هذه الأنشطة بمنأى عن أي دور مفترض للمجال، بل إن هذا الأخير بدوره داخل في إطار عمليات الاكتساب والنمو التي يتعرض لها الطفل في المدرسة.

## 2. العلاقة السيكولوجية للطفل مع المجال :

تبدأ العلاقة السيكولوجية مع المجال منذ مرحلة الطفولة، حيث يبدأ الطفل في التعرف على مجاله من خلال النشاط فيه وموضوعة الأشياء ضمنه وتمكنه من تحريكها وفق نظام يعلمه وغاية يرسمها .

وتشكل الحواس في البداية أهم وسائل استكشاف هذا المجال وقد ميز إدوارد هال Edward .Hall بين صنفين من المستقبلات الحسية المتفاعلة مع المجال :

- المستقبلات البعيدة المدى التي ترتبط بالأشياء البعيدة وهي العينان، الأذنان، والأنف.

- المستقبلات المباشرة التي تستكشف المجال عبر التماس معه، وهي الجلد والأطراف واللسان<sup>4</sup>.

يعتبر المجال السمعي البصري أنشط أنواع المجال لأنه يسيطر على أكبر مساحة داخله، وعلى سبيل المثال :

فالبصر الإنساني يمكن أن يمتد لإدراك مجال بشكل واضح ومفيد إلى مسافة تقترب من كيلومتر، أما السمع فيظل فعالا في مسافة لا تزيد عن ستة أمتار إلى 30 مترا، وهذا لا يتاح لبقية الحواس الأخرى<sup>5</sup>.

<sup>3</sup> - A,A,Moles et E,Rohmer : Ibid , page : 15 .

<sup>4</sup> - E,T, Hall : la dimension cachée , seuil , 2éd , 1971 page : 62 .

<sup>5</sup> - E,T, Hall : Ibid , page : 69

تكفي قيمة هذه المعلومات في كونها تعطينا صورة عن دور الحواس في بناء المجال النفسي لدى الفرد، لكن عملية البناء هاته لا تتوقف على هذا الإدراك الحسي، بل تتدخل فيها عوامل معرفية وثقافية ووجدانية كانت كلها موضوع دراسة من قبل علماء النفس.

لقد ميز فيشر G.N.Fisher بين مستويين في العلاقة السيكلوجية بالمجال، والضرورية لتعلم هذا الأخير :

- : إن تعرف الفرد على المجال ينشأ حينما يعمد إلى اكتشافه بطريقة متعمدة يستطيع خلالها أن يصفه بعبارات ذاتية يضعها بنفسه على المستوى الذهني، وهي ليست بالضرورة نفس العلامات التي يضعها الآخرون لنفس الغرض خلال هذه الطريقة يشرع الطفل في إضفاء صيغة ذاتية على المجال، وهذا الأمر أشار إليه بياجي في معرض دراسته لتكيف الطفل مع الوسط<sup>6</sup>.

تتم عملية استكشاف المجال إذن عبر تحديد نقط معلية بارزة للذات داخله، فمن يستكشف مجال مدينة ما لأول مرة قد يتخذ بعض المباني الشاهقة (صوامع، فنادق، مآثر تاريخية) كنقط معلية تربطه بالمجال، وقد تكون فقط لتميزها في اللون أو الشكل أو الحجم، وفي مرحلة ثانية تتم عملية الاستكشاف عبر كثرة النشاط في المنطقة المستكشفة، والمقصود هنا نشاط استكشاف المجال واستغلاله، والفرد الذي يستكشف مجالا يستعمله بشكل مفرط منتبها إلى تفاصيله لأنه فيما بعد يستعمل المجال دون أن ينتبه إلى تفاصيله، إن تعلم المجال إذن في جوهره عملية استكشاف<sup>7</sup>.

- ترميز المجال : وهي عملية وجدانية يقوم الفرد خلالها بتوزيع شحنات وجدانية وثقافية ورمزية على المجال، وقد توصل بياجي إلى هذا الأمر منذ دراساته الأولى لرسومات الأطفال، فدراسة رسومات الأطفال تسمح أكثر من غيرها بالتعرف على الكيفية التي يرى بها الطفل الوسط الذي يعيش فيه وكيف يبنيه في ذهنه، فكون الطفل يرسم في أول الأمر المنزل فلأنه أول مجال يكتشفه ويستغله وهو رمز للوسط المألوف الذي تجري فيه أولى وأهم خبراته<sup>8</sup>.

إن عمليتي الاستخدام والترميز تسمح للفرد ببناء المجال بشكل تدريجي إلى أن يصبح قادرا على التعامل معه بطريقة واعية تدرك إكراهاته الفيزيائية والوجدانية والعقلية، فنستطيع أندا أن نميز بين أربعة أنواع من المجال حسب أمولز: A.Moles

<sup>6</sup> - G.N.Ficher : 1981, Ibid , page : 69

<sup>7</sup> - A.A. Molse et R.,Caude : 1970 , Ibid , page 30  
<sup>8</sup> - G.N,Ficher : Ibid , page : 701981

- 1- **le chez moi** : وهو المجال الذي أمارس فيه تحكما كاملا إنه فضائي الخاص بامتياز.
- 2 - **غير chez les autres** : مجال يمكنني دخوله ولكنه ليس ملكا لي ومادمت فيه فأنا تحت تحكم الغير مع اعترافي المسبق بهيمنته عليه.
- 3 - : وهو مجال ليس في ملكية أحد بل ملك للجميع، وهو يتجسد هذا الجميع ماديا في رجل الأمن رجل الشرطة في الطريق العام أو الساحة، فأنا إما في محلي أو عند الغير أو في عهدة الأمن العام بشكل من الأشكال.
- 4 - **المجال الغير محدود**: وهو المجال الذي لا يوجد فيه أحد ولا يملكه أحد حتى الدولة لا تمارس فيه تحكما فعليا، فالصحاري مثلا وهو في الغالب مكان خارج المجالات السكنية أو المستغلة ويوجد هذا النمط من المجال في بعض بلدان العالم الإسلامي وفي البرازيل<sup>9</sup>.
- إن العلاقة الأولى للفرد بالمجال علاقة معرفية، ومعنى ذلك أن الفرد يمارس أشكال عديدة من النشاط المعرفي عليه، أهمها التمثل والإدراك والتعلم، لذلك فنظرتنا إلى المجال المدرسي تكتسب أهميتها من كونه مجالا للنشاط المعرفي للطفل، هذا الأخير الذي يقضي وقتا ليس باليسير في المدرسة التي هي فضاء مختلف تماما عن الفضاء المنزلي، فهو حتما يشرع في استطلاع هذا المجال واستكشافه واستغلاله والتفاعل معه وداخله، هذا التفاعل الذي نفترض أن له دخلا ما في تنشيط الإبداع أو كبحه لدى الطفل.
- إن استطلاع المجال أول فعل يقوم به من يوجد في مجال ما لأول مرة، وهذا الاستطلاع لا يتم إلا من خلال النشاط والحركة داخل هذا المجال حيث يتمكن الفرد من إدراك دقائقه وإضفاء معاني ذاتية عليه، لأن المعطيات الحسية لا تحمل معانيها إلا بالنشاط الممارس عليها هذا النشاط للطفل داخل المجال المدرسي هو الذي يمنح إمكانية سحب تأويلات عليه، بناء على تجاربه الاجتماعية والوجدانية والمعرفية فيه، والأمكنة تأخذ معانيها من خلال هذه التجارب فإدراك المجال ليس بريئا بالمرّة بل هو مطبوع بانفعالاتنا اتجاه عناصر المجال، فمثلا نحن ندرك بقوة اكبر ما يعنينا من المجال أكثر مما لا يعنينا فيه<sup>10</sup>.

<sup>9</sup> - A.A. Molse et R.,Caude : Ibid , page : 21

<sup>10</sup> - A.A. Molse et R.,Caude : Ibid , page : 30

## 3.

للحديث عن المجال المدرسي لابد في نظر أندري باري Andre Paré من استحضار ثلاثة مكونات رئيسية لا معنى للمجال المدرسي بدونها. وهي ما يعطي للمجال حضوراً فاعلاً في المدرسة.

✓ المواد.

✓ خريطة الاستغلال.

✓ قائمة الموارد<sup>11</sup>.

هذه العناصر الثلاثة هي ما يجعل المجال المدرسي مقروءاً، فالوضعية التي تكون عليها هذه العناصر تعكس التصور البيداغوجي للمدرس بل وللنظام التعليمي ككل، فليس من الضروري أن نفحص في المذكرات الرسمية لمعرفة هذا النظام، فبمجرد ما ندخل مدرسة أو فصلاً دراسياً ونطلع على هذه العناصر، حتى في غياب المتعلمين وغياب المدرس نفسه نستطيع أن نحدد ما هو نوع البيداغوجيا المعتمدة، وفي هذا الصدد يقول أندري باري Andre Paré: "إن قراءة هذا المجال " المدرسي " تتم من خلال المعامل التعبيرية أو البحثية، ومختلف أركان العمل والأماكن المنعزلة، وما هو معلق بالجدران، وتقديم الأشغال، وترتيب المهام، ومؤشرات التسيير الذاتي للمتعلمين، وتنظيم التآثيث، ومؤشرات عمل المجموعات والعمل الفردي ونظم التقويم، تصلح لأن تكون معايير لذلك كل هذا يمكنه أن يتكلم، إذ في البيداغوجيا كل شيء هو عبارة عن قرار يتم تجسيده بعد ذلك في حركات، وأنشطة ونتاجات"<sup>12</sup>.

#### ■ المكونات المادية:

إن المجال المدرسي لا يتخذ معناه الحقيقي إلا من خلال المواد التي يتوفر عليها، أو يمكن أن يتوفر عليها، والمقصود هنا هو مختلف الأشياء والأدوات والوسائل الجاهزة أو المصنوعة من قبل المتعلمين والتي تخدم أغراضاً تعليمية تعليمية في إطار الأنشطة المدرسية، ويمكن التمييز بين نوعين من المواد: الأدوات والوسائل المستخدمة في الملاحظة والتجريب أو البحث، ثم الأشياء التي تخضع للبحث والملاحظة<sup>13</sup>. وتختلف هذه المكونات بحسب المؤسسات والحجرات الدراسية... لكن في كثير من الأحيان يخضع إعداد هذه المواد واقتنائها للعفوية خاصة في المدارس التقليدية، ولعل كثيراً من المدرسين يعتقد بأن توفير هذه المواد يتطلب إمكانيات باهظة، بل على العكس

<sup>11</sup> - André paré: créativité et pédagogie ouverte. Volume III ,NHP, Ottawa Québec 1977, page : 27

<sup>12</sup> - André paré: Volume III Ibid , page : 54

<sup>13</sup> - André paré: Volume III Ibid , page : 27

من ذلك فإن كثيرا منها يمكن تصنيعه في إطار الأنشطة المدرسية نفسها انطلاقا من مواد المرجوعات أو غيرها، وقد قدم أندري باري Andre Paré لائحة نوردها في الفصل الخامس.

### ■ خريطة الاستغلال les cartes d'exploration :

إنها إعداد مكتوب لإمكانيات استغلال المواد لتحقيق أهداف تعليمية، ولا بد أن تتضمن هذه الخريطة مشروع خطط عمل لتوظيف هذه الوسائل كما يجب أن تتضمن توزيع هذه المواد في المجال المدرسي داخل القسم أو خارجه، إذ الوقت الذي تستغرقه الفترة الدراسية بالكاد يجب أن يستغل في تحقيق أهداف التعلم، لذلك وجب أن تكون الخرائط معدة مسبقا<sup>14</sup>.

وتكمن أهمية هذا النوع من الخرائط في أنها تجعل من الممكن تفعيل العناصر المادية الموجودة بالمجال المدرسي، وإلا فإن وفرة المواد لوحدها ليست كافية، فقد تظل قابعة في الخزانة، أو لا يتم التفكير أصلا في بناء مواد انطلاقا من العناصر الأولية للمرجوعات التي يمكن أن يحضرها التلاميذ.

■ :

إن المدرس حتما ليس هو محور المعرفة ومصدرها الوحيد، لكنه يملك نظرة شاملة على إمكانيات المجال المدرسي، فهو يستطيع أن يحضر مسبقا جميع الإمكانيات التي يتيحها هذا المجال، لذلك فإن إعداد قائمة بالموارد المعدة لاستغلال هذا المجال في الأنشطة التعليمية، توضع رهن إشارة المتعلمين، هو من مهامه الأساسية.

ولا يقصد بالموارد هنا فقط الموارد المادية، بل كذلك الموارد المعرفية والبشرية التي تسمح للمتعلمين بالاستفادة المعرفية، ويمكن أن نلخص هذه الموارد في العناصر التالية: ( موارد مادية (وسائل وأدوات) موارد معنوية (مهارات وكفاءات خاصة بكل نشاط) وموارد بشرية (التعرف على خصائص المتعلمين وقدراتهم وعلى قدرات كل الأفراد الذين يمكنهم الإسهام في إنجاح نشاط ما<sup>15</sup>).

ومن أهم الدراسات التي تناولت المجال بالدراسة: دراسة أندري باري Andre Paré التي ركز فيها على تنظيم المجال المدرسي وانعكاساته على الإبداع لدى التلاميذ ، مقارنة بين المجال المدرسي المفتوح والمجال المدرسي المغلق، وينطلق هذا الباحث من مسلمة مفادها بأن النمو سواء كان حركيا أو حسيا، وجدانيا أو عقليا، متأثر حتما

<sup>14</sup> - André paré: Volume III Ibid , page : 33

<sup>15</sup> - André paré: Volume III Ibid , page : 38

بالمجال<sup>16</sup>. ويترتب عن ذلك أن نمو كافة القدرات يعتمد في جزء كبير منه على طبيعة المجال المدرسي.

صحيح أن بعض رجال التربية يهتمون بتنظيم مجال القسم أو المدرسة من قبل المدرس من أجل تسهيل عملية التعلم، لكن هذا لا يعكس بالضرورة وعياً تاماً بكيفية تفاعل المجال المدرسي مع قدرات المتعلم، لأن هذا المجال المدرسي مازال ينظر إليه كعنصر فيزيقي لا أقل ولا أكثر.

إن المجال المدرسي أغنى من أن يختصر في هذا البعد المادي، فالمجال المدرسي منظوراً إليه كتمثلات أو كحقل إدراكي، هو الفضاء الذي يسقط عليه الفرد أحاسيسه ويعطيها تأويلات. إنه مجال الصور والأفكار والدلالات، إنه مجال دلالي مليء بالشحنات العاطفية تجاه المشكلات الموضوعية أمام الفرد، فهو الشاشة الثقافية، ومجال التمثلات والمعارف<sup>17</sup>.

ومن هنا المنطلق فإن المجال المدرسي الغني والأكثر تنظيماً والذي يسمح بعلاقات بين أفرادها يمكن من تعلم أفضل، ونمو جيد، والمجال المدرسي المغلق في نظر أندري باري Andre Paré هو الأكثر شيوعاً في المدارس (الموسوعية) والذي يتميز بالخصائص التالية:

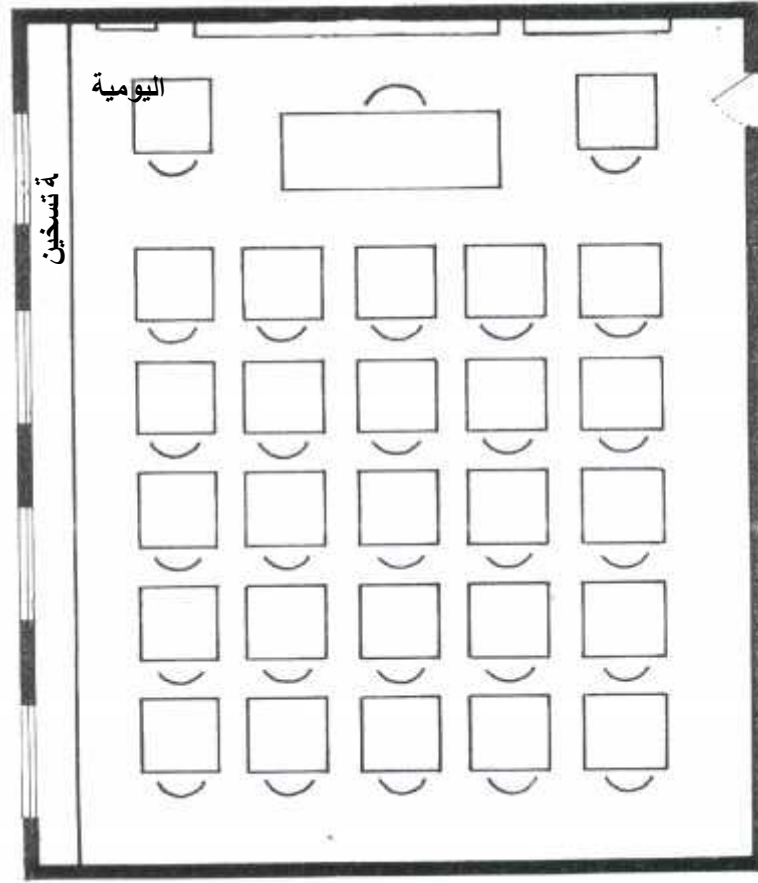
- ✓ قلة الأشياء التي يمكن أن يتناولها المتعلم.
- ✓ تنظيم المجال المدرسي يقتصر على المواد المملوكة للمدرس، مادياً كالأدوات، والكتب والمراجع، ومعنوياً كالعبارات والحكم والصور المختارة من قبل المدرس.
- ✓ تقييد حركة التلميذ، وإجبارية الصمت.
- ✓ غياب فضاءات الاسترخاء والاستراحة واللهو.
- ✓ العزل الجزئي للقسم عن الفضاء الخارجي بإغلاق الأبواب والنوافذ.
- ✓ التعامل مع كل عناصر القسم ومواده وفضائه كملك خاص للمدرس<sup>18</sup>.

<sup>16</sup> - André paré: Volume III Ibid , page : 17

<sup>17</sup> - A.A. Molse et R.,Caude : 1970 , Ibid , page : 59

<sup>18</sup> - André paré: Volume III Ibid , page : 19





( ) ✓

أما المجال المدرسي المفتوح فهو ذلك المجال الذي يتمركز تنظيمه وإعداده حول من يحيون بداخله فيجسد اهتماماتهم وخصائص نموهم، وقد حدد أندري باري Andre Paré مجموعة من السمات المميزة للقسم المفتوح نجملها فيما يلي :

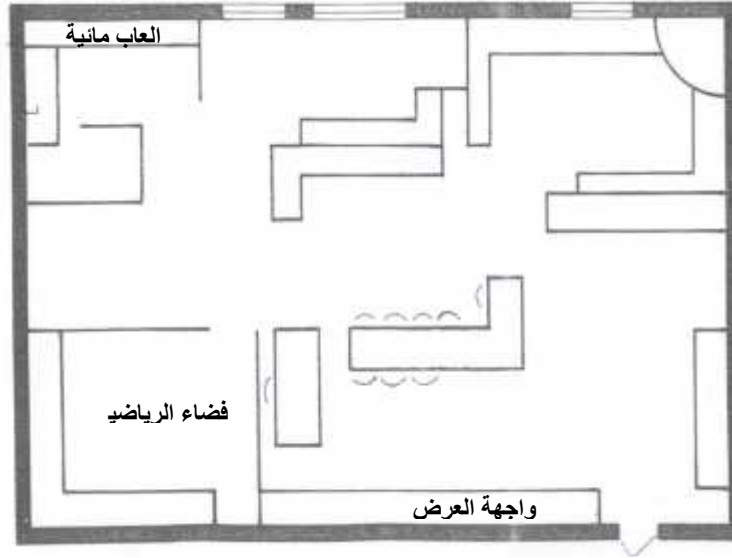
✓ أن لكل قسم شخصيته الخاصة، كما لا تتشابه المنازل من الداخل لأن بها حياة حقيقية.

✓ أن هذا القسم يملك مجالا متغيرا ما دام الأفراد الذين يوجدون فيه دائمي النمو والتغير.

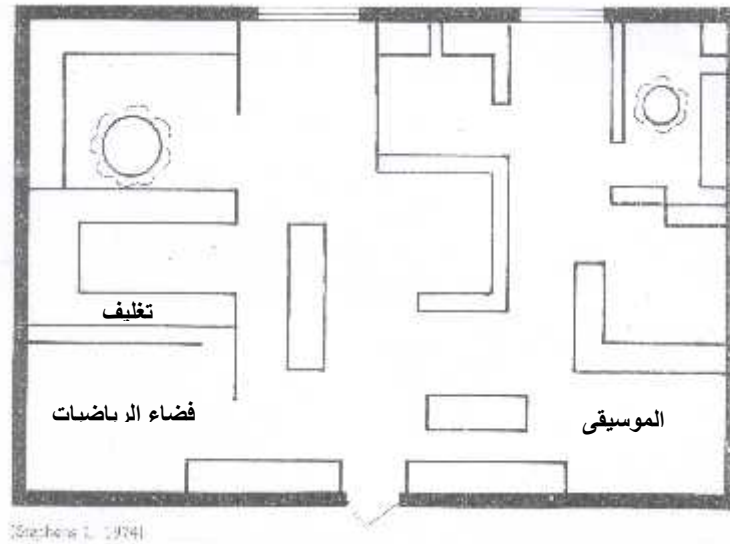
✓ وفرة المواد والأشياء والأدوات مع حرية وسهولة مناولتها فلا يكون معلقا عليها بالمفاتيح.

✓ المرونة وسهولة الحركة وإمكانية التعاون بين المتعلمين.

- ✓ تجنب الترتيب في الجلوس حسب النقد والنتائج.
- ✓ السماح بوضع بصمة إنجاز الطفل في هذا الفضاء.
- ✓ سيادة شعور عام لدى جميع المتعلمين بملكية هذا المجال 19. (الشكلين 1-2)



1 :



2 : ) مدرسية مفتوحة)

<sup>19</sup> - André paré: Volume III Ibid , page ( 22 – 23 )

ومن خلال المقارنة بين النموذجين يمكن القول بأن كل تنظيم مجالي للمدرسة أو القسم يعكس بطريقة غير مباشرة التصور التربوي والضماني أو الصريح لصاحبه، فالمدرسون ينقلون بشكل ضماني لتلامذتهم مواقفهم وتفضيلا تهم من خلال الطريقة التي ينظمون بها القسم.

وإذا أضفنا إلى هذا أن دراسات عديدة بينت بأن لدى المدرسين تصورات خاصة لوضع الطفل المثالي داخل القسم، ذلك الطفل الذي يتميز بالخضوع والامتثال والانضباط داخل القسم، فإننا نستطيع أن نستنتج بأن للمجال المدرسي دورا حاسما في العملية التعليمية، وتلعب البنية المادية للقسم دورا مهما في العملية التربوية، ذلك أن المناخ السائد وتوقعات التلاميذ والمظهر البنائي للقاعة، تؤثر سلبا أو إيجابا على المتعلمين. وقد حدد الباحثون عدة مبادئ لترتيب القسم من أجل التقليل من المشوشات أهمها:

- ترك مساحة خالية للمرور
- الإبقاء على المقاعد بعيدة عن الباب
- ترك متسع للطريق المؤدية إلى مكتب المدرس
- التأكد من رؤية جميع التلاميذ
- الإبقاء على المواد المستعملة في مكان يسهل الوصول إليه.
- التأكد من أن جميع التلاميذ يستطيعون متابعة العروض التدريسية التي تلقى عليهم.

#### 4.

بالنسبة لبياجيه فالذي يطور مفهوم المجال عند الطفل هو النشاط الذي يمارسه الطفل على الأشياء وعلى محيطه، وهذا النشاط يعني الواقع الفيزيائي، فيتمكن الطفل تدريجيا من بناء خطوات إجرائية قابلة لأن تستدمج، فالنشاط الحسي والتماس الإدراكي مع الخبرة تلعب دورا كبيرا في إنشاء العلاقات بين الأشياء ومن ثم تطور المجال<sup>20</sup>.

كل ذلك يتم عبر النشاط الحركي في المجال، فحركة الطفل داخل المجال ومعالجة عناصره حسيا حركيا ما بين 6-8 سنوات تلعب دورا في تنظيم المجال، وهذه الحركة هي ما يسمح للطفل باكتشاف المسافات وتغيير الاتجاه وتنوع زوايا النظر، ويفترض لدى كل طفل أن يكون في فترة ما من فترات الطفولة المتوسطة تمثلات

<sup>20</sup> - Jean, Piaget : 1948 Ibid , page : 185

مجالية، سواء تعلق الأمر بالمجال القريب كالحي مثل : أو كانت هذه التمثلات متعلقة بالمجال البعيد، لذلك ينبغي احترام هذه التمثلات لأنها جزء من أنشطة النمو حتى لو لم تكن مقبولة في عرف الراشدين.

من الناحية النظرية يفترض أن تتطور علاقة الطفل بالمجال المدرسي من خلال التفاعل داخله إلى نوع من أنواع الملكية النفسية للمجال، وهي ذلك النوع من الإحساس بالتحكم والعلاقة الخاصة مع المجال، إنها ملكية مشعور بها ذاتيا، ولو بشكل مؤقت كامتياز استعمال الطفل لمقعد دراسي بعينه<sup>21</sup>.

ولفظ ملكية appropriation لا يعني هنا أي معنى قانوني أو شرعي لامتياز الحيازة الكاملة المعترف بها قانونيا، بل هو فقط مظهر نفسي أو نفسي اجتماعي لامتياز الاستغلال المتواضع عليه والذي يكتسب من هيمنة الفرد النفسية وقبول الأفراد مؤقتا بذلك، إضافة إلى كونه إحساسا ذاتيا أكثر منه واقعا موضوعيا ولكي ننتم هذه الملكية لابد من شرطين رئيسيين :

- السيطرة الفيزيائية على المجال
  - التحكم الذهني والمعرفي في ربوع المجال
- وتتم عملية استهلاك المجال عبر العمليات التالية<sup>22</sup> :
- التأشير على المجال le marquage de l'espace وذلك بتحديد معالم ذاتية لتعريف المجال وحدوده ومراكزه ونطاقاته نفسيا وحركيا.
  - الاستئناس بالمجال: la familiarisation de l'espace وذلك بالتعرف على جميع تفاصيله ومرتاديه وتداول المعلومات عنه وداخله وإنتاجها فيه.
  - إنشاء مجال شخصي: وذلك بالتعود على التواجد في مكان ما داخله، وإقناع الآخرين أو إجبارهم على قبوله.

وتتم هذه العمليات الثلاث بشكل غير منتظم حينما يلج الطفل المدرسة لأول مرة، فهو يبدأ بتحديد معالم داخل الفضاء المدرسي وضبط عناصر داخله من حجرات وإدارة وأماكن صحية وساحة لعب في نفس الوقت يشرع في ربط علاقات مع محيطه وتلقي المعلومات وإصدارها عن عناصر هذا المجال المادية والبشرية والمعنوية، كما أنه يحاول منذ البداية إيجاد مجال شخصي عن طريق اختيار مكان للجلوس في حجرة الدرس أو اللعب في ساحة المدرسة.

<sup>21</sup>- G,N,Ficher : les domaines de la psychologie sociale . dunod , page : 234

<sup>22</sup>- G,N,Ficher : 1981 Ibid , page : ( 91- 92 )

إن الطفل حينما يلج المدرسة يواجه بمثيرات مجالية جديدة، فينمي تجاهها، بحسب المواقف التي يتواجد بها استجابات معينة، ويمكن أن يعلق عليها بانطباعاته الذاتية، وطريقة استجابته تلك تعطي لعملية استطلاع المجال التي يقوم بها صبغة تكيف معه<sup>23</sup>.

إن حديثنا عن ملكية المجال المدرسي من قبل الطفل يكتسي أهمية من كون المجال لا يتشكل كمفهوم لدى الطفل إلا بالموازاة وعبر سيرورة استملاك المجال، بعدها فقط نتحدث عن علاقة للفرد بالمجال وعن احتمالات تأثيره في تصرفات وقدرات الأفراد المتعلمين، ويمكننا أن نتعرف على علاقة الطفل بالمجال المدرسي ومستوى هذه الملكية من خلال ما يعرف داخل علم النفس المعرفي بـ "le script" الترسيمة وخصوصا الترسيمة المدرسية le script scolaire .

### الترسيمة المدرسية:

تعرف الترسيمة بأنها خطاطة ذهنية تربط سياقات معروفة بالوقائع التي تتم داخلها فالترسيمة المدرسية إذن هي التمثل الذي يملكه الطفل عن الأشياء التي تحدث عادة في المدرسة<sup>24</sup>.

وفي المدرسة يطور الطفل بالتدريج هذه الترسيمة أي التمثل عندما يحدث في المدرسة الأماكن الفترات والوقائع حسب الزمن المدرسي.

وتفيد الترسيمة المدرسية le script scolaire فيما تقدمه من قاعدة معطيات لتأويل الوقائع التي تتم داخل المجال المدرسي، أنها إذن وسيلة لفهم المجال المدرسي وهي في نفس الوقت وسيلة ذهنية للتكيف مع هذا المجال فالطفل يكون تمثلات عن المدرسة تصبح بالنسبة له وسيلة لتأويل ما يجده فيها وخصوصا العلاقات بين الأفراد الموجودين فيها.

وتتكون هذه الترسيمة من خلال التفاعل والتعليم والتعلم اللذين يشارك فيهما الطفل في المدرسة، وعمليات التفاعل داخل هذا المجال والتي يكون من خلالها الطفل هذه الترسيمة يمكن أن تقرأ على أساس كونها نسقا تعليميا، لأن الطفل الذي يحيى داخل مجال معين ملزم بمعرفة وتصنيف الموضوعات المتواجدة داخله، ومعرفة ما يسمح به من إمكانيات ونطاقات ولتتم هذه العملية لأبد له من نشاطين أساسيين يقوم بهما هما:

<sup>23</sup> - G,N,Ficher : 1981 Ibid , page : 68

<sup>24</sup> - Richard Clautier : Ibid . page :640 .

الاستطلاع والتقييم الرمزي بحيث إنه كلما تواجد للطفل مجال جديد كلما بحث عن أقطاب معينة في هذا المجال، وعن نقط معلمية للارتكاز، وكلما مر الزمن كلما أصبح المجال المدرسي مألوفاً بالنسبة للطفل وازداد اهتمامه بتفاصيل أخرى وجزئيات كانت من قبل غير ذات أهمية<sup>25</sup>.

وقد بينت أبحاث عديدة من خلال اعتماد تقنية الترسيم المدرسية أهمية المجال في التعلم ونذكر منها على سبيل المثال أبحاث كل من سميث و كونيولي I.Smith et Connolly 1981 بأن الكثافة داخل الفصل مثلاً وهي مظهر مجالي واضح تؤدي إلى ظهور التنافس العنيف، حيث بين البحث بأن وجود مساحة لكل تلميذ تقل عن 1.65 m<sup>2</sup> خاصة مع ندرة الوسائل تؤدي إلى ظهور التصرفات العدوانية بين المتعلمين مما يؤثر على تعلمهم.

كما بينت أبحاث أخرى بأن تنظيم مجال القسم ينعكس على التفاعل بين الطفل والمدرس والتفاعل بين المتعلمين فالتنظيم التصفيقي (طاولة خلف طاولة) أقل تحفيزاً على التفاعل من نظام التصفيق الدائري (مائدة مستديرة)، لأن هذا النظام الثاني يسمح برؤية جميع التلاميذ للمدرس وبمشاهدتهم لبعضهم البعض<sup>26</sup>.

وبينت دراسات أخرى أوردتها كلوتيي clautier بأن المدرسة ذات المجال المفتوح -أو فقط الحصص التي تتم في مجال مفتوح بمجموعات تتشكل باختيار المتعلمين- أكثر مردودية من تلك التي تتم في مجال مغلق وبمجموعة قارة ومفروضة من قبل المدرس أو الإدارة.

كما بين بحث آخر لـ بير Ber 1989 بأن عدد التلاميذ في المدرسة له دخل كبير في علاقة الطفل بالإيجابية أو السلبية بالمدرسة، حيث توصل إلى أن مدرسة ابتدائية صغيرة تتكون من 500 تلميذ وتلميذة تقريباً هي أكثر تحفيزاً على الأنشطة الموازية التي يفضلها التلاميذ أكثر من مدرسة أكبر تضم 1000 تلميذ وتلميذة<sup>27</sup>.

هذه الأبحاث كلها تبين بأن المجال المدرسي كمجال للتعلم والتفاعل ليس محايداً بالمرة في علاقتها بنمو الطفل وقدراته ومواقفه من المدرسة، وهذا يحفز رغبتنا في دراسة هذا المجال في علاقته بقدرة هامة من القدرات الشخصية ألا وهي الإبداع. لكن هذا لا يعني سهولة هذا النوع من الدراسة إذ أن علاقة الطفل بالمجال المدرسي تتميز بوفرة المتغيرات وتشعبها.

<sup>25</sup> - A,A,Moles et E,Rohmer : 1972 Ibid , page : 30

<sup>26</sup> - Richard Clautier : Ibid . page : 641 .

<sup>27</sup> - Richard Clautier : Ibid . page : 641 .

:

1. A,A,Moles et E,Rohmer : psychologie de l'espace , Casterman , 1972.
2. Alain Beaudot : la créativité a l'école , presses universitaires de France . 1974.
3. André paré: créativité et pédagogie ouverte. Volume II,NHP, Ottawa Québec 1977.
4. André paré: créativité et pédagogie ouverte. Volume III,NHP, Ottawa Québec 1977.
5. Catherine Turrette : introduction à la psychologie du développement , Armand Colin , Paris 1994.
6. E,T, Hall : la dimension cachée , seuil , 2éd , 1971.
7. G,N,Ficher : la psychologie de l'espace , presses universitaires de France , Paris , 1981 , 2ed.
8. G,N,Ficher : les domaines de la psychologie sociale . dunod.
9. G. Vignaux : les sciences cognitives , éd , la découverte, pris 1991.
10. H,Wallon : l'évolution psychologique de l'enfant , Armand colin paris 1968.
11. J- F. dortier: le dictionnaire des sciences humaines ed. sciences humaines . 2004.
12. Jean Piaget : six études de psychologie , denoel , 1964.
13. Jean, Piaget . B, Inhelder : le développement des quantités chez l'enfant. Conservation et atomisme delachaux and niestlé , 1941.
14. Jean, Piaget . B, Inhelder : La représentation de l'espace chez l'enfant . presses universitaire de France 1948.
15. Jean, Piaget : la formation du symbole chez l'enfant , P.U.F, 1946.